الفرق بين النصيحة والتعيير

للحافظ
ابن رجب الحنبلي

مصدر هذه المادة:



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على إمــــام المتقين وخـــاتم النبــــيين وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهــذه كلمــات مختصــرة جامعــة، في الفــــرق بين النصــــيحة والتعيــــير، فإنهما يشتركان في أن كلا منهما ذكر الإنسان بما يكـره ذكـره، وقد يشـتبه الفـرق بينهما عند كثير من الناس. والله الموفق للصواب.

اعلم أن ذكر الإنســان بما يكــره محــرم إذا كـان المقصـود منه مجـرد الـذم والعيب والنقص. فأما إن كـــان فيه مصـــلحة لعامة المسلمين، خاصة لبعضهم، وكان المقصــود منه تحصيل تلك المصـلحة؛ فليس بمحـرم، بل مندوب إليه.

وقد قرر علمـاء الحـديث هـذا في كتبهم في الجــرح والتعـديل، وذكـروا الفـرق بين جـــرح الـــرواة، وبين الغيبة وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين وغـيرهم ممن لا يتسع علمـه. ولا فـرق بين الطعن في رواة

حفـاظ الحــديث ولا التميــيز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبـل، وبين تبـيين خطأ من أخطأ في فهم معـاني الكتـاب والسـنة وتأول شـيئًا منها على غـير تأويلـه، وتمسك بما لا يتمسك به، ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيــه، وقد أجمع العلمــاء على جــواز ذلك أيضًا.

ولهذا نجد في كتبهم المصنفة في أنــواع العلــوم الشــرعية من التفســير، وشــروح الحــديث، والفقــه، واختلاف العلمــاء وغــير ذلك، ممتلئة من المناظرات ورد أقـوال من تضـعف أقواله من أئمة السـلف والخلـف، من الصــحابة والتــابعين ومن بعــدهم. ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم، ولا ادعى فيه طعنًا على من رد عليه قولـــــه، ولا ذمًا ولا نقصًــا، اللهم إلا أن يكــون المصــنف ممن يفحش في الكلام، ويســـــــيء الأدب في العبـارة فينكر عليه فحاشـته وإسـاءته دون أصل رده ومخالفته، إقامة بالحجج الشرعية والأدلة المعتــبرة. وســبب ذلك أن علمــاء الــدين كلهم مجمعــون على قصد إظهــار الحق الـــذي بعث الله به رســوله ﷺ، ولأن

يكون الدين كله لله، وأن يكون كلمته هي العليا.

أئمة السلف كانوا يقبلون الحق:

وكلهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحد منهم، ولا ادعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين، فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرًا، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم.

كما قال عمر في مهور النساء، وردت المرأة بقوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ [النساء: 20].. فرجع عن قوله، وقال: «أصابت امرأة، ورجل أخطأ».. وروي عنه أنه قال: «كل أحد أفقه من عمر».

وكان بعض المشهورين إذا قال في رأيه بشيء يقول: «هذا رأينا فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه».

وكان الشافعي يبالغ في هذا المعنى ويوصي أصحابه باتباع الحق، وقبول السنة،

إذا ظهـــرت لهم على خلاف قولـــه، وأن يضرب بقوله حينئذ الحائط، وكان يقول في كتبه: «لابد أن يوجد فيها ما يخالف الكتـاب والسنة، لأن الله تعـالى يقـول: ﴿وَلَوْ كَـانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]».

وأبلغ من هذا، أنه قال: «ما ناظرني أحد فباليت، أظهرت الحجة على لسانه، أو على لســاني».. وهــذا يــدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهـــور الحق ولو كـــان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه.

ومن كـانت هـذه حالـه، فإنه لا يكـره أن يُـرد عليه قوله ويتـبين له مخالفته للسـنة لا في حياته ولا في مماته.

وهذا هو الظن بغـيره من أئمة الإسـلام، والذابين عنه، القائمين بنصـره من السـلف والخلـف، ولم يكونـوا يكرهـون مخالفة من خالفهم أيضًا بـدليل عـرض لـه، ولو لم يكن ذلك الدليل قويًا عندهم بحيث يتمسكون به ويتركون دليلهم له.

ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله تعـالى يذكر إسحاق بن راهويه ويمدحه ويثني عليه

ويقول: «وإن كان يخـالف في أشـياء، فـإن الناس لم يـزل بعضـهم يخـالف بعضًـا».. أو كما قال.

وكان كثيرًا ما يعـرض عليه كلام إسـحاق وغـيره من الأئمـة، ومأخـذهم في أقـوالهم، فلا يـــوافقهم في قـــولهم، ولا ينكر عليهم أقـــوالهم، ولا اســـتدلالهم وإن لم يكن هو موافقًا على ذلك كله.

وقد استحسن الإمـام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم، أنه قيل لـه: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعتـه، فبـأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث، أفرح إذا أصـاب خصـمي، وأحـزن إذا أخطـأ، وأحفظ لساني عنه أن أقـول ما يسـوؤه.. أو معـنى هذا. فقال أحمد: ما أعقله من رجل.

فحينئذ.. فردُّ المقالات الضعيفة، وتبــيين الحق في خلافها بالأدلة الشـرعية، ليس هو مما يكـــره أولئك العلمـــاء، بل مما يحبونه ويمـدحون فاعلـه، ويثنـون عليـه. فلا يكـون داخلاً في باب الغيبة بالكلية، فلو فـرض أن أحدًا يكره إظهار خطئه المخالف للحق، فلا عــبرة بكراهته لــذلك، فــإن كراهة إظهــار

الحق إذا كان مخالفًا لقول الرجل ليس من الخصـــال المحمـــودة، بل الـــواجب على المســـــلم أن يحب ظهــــور الحق ومعرفة المسلمين له، سواء كــان ذلك في موافقته أو مخالفتـه، وهـذا من النصـيحة لله ولكتابه ورسـوله ودينه وأئمة المسـلمين وعـامتهم، وذلك هو الدين كما أخبر به النبي .

كيفية بيـــــــــان خطأ من أخطأ من العلماء:

وأما بيـــان خطأ من أخطأ من العلمـــاء قبلــه، إذا تــأدب في الخطــاب، وأحسن في الرد والجواب، فلا حرج عليه ولا لــوم يتوجه إليه، وإن صدر منه من الاغترار بمقالته، فلا حرج عليه، وقد كـان بعض السـلف إذا بلغه قول ينكره على قائله يقول: (كــذب فلان)، ومن هـــذا قـــول النـــبي : «**كـــذب أبو الســــنابل**»[1].. لما بلغه أنه أفــــتى أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً لا تحل بوضع الحمل حتى يمضي عليها أربعة أشهر وعشر.

---

1 (?) أخرجه أحمد 1/447 رقم (4273).

وقد بـــالغ الأئمة الورعـــون في إنكـــار مقــالات ضــعيفة لبعض العلمــاء وردها أبلغ الــرد، كما كــان الإمــام أحمد ينكر على أبي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها، ويبالغ في ردها عليهم، هذا كله حكم الظاهر.

وأما في باطن الأمر.. فإن كان مقصوده في ذلك مجــرد تبــيين الحــق، ولئلا يغــتر النــاس بمقــالات من أخطأ في مقالاتــه، فلا ريب أنه مثـــاب على قصـــده، ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم.

وسـواء كـان الـذي بَيَّنَ الخطأ صـغيرًا أو كبـــيرًا، وله أســـوة بمن رد من العلمـــاء مقالات ابن عباس الـتي يشذ بهـا، وأنكـرت عليه من العلمـــاء، مثل المتعة والصـــرف والعمرتين وغـير ذلـك، ومن رد على سـعيد بن المســيب قوله في إباحته المطلَّقة ثلاثًا بمجرد العقد، وغير ذلك مما يخـالف السـنة الصريحة، وعلى الحسن في قوله في تـرك الإحــداد على المتــوفى عنها زوجهــا، وعلى عطـــاء في إباحته إعـــادة الفـــروج، وعلى طــاوس قوله في مســائل متعــددة شذ بها

عن العلمـاء.. وعلى غـير هـؤلاء ممن أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ومحبتهم والثناء عليهم.

ولم يعُـــدّ أحد منهم مخالفيه في هـــذه المسـائل ونحوها طعنًا في هـؤلاء الأئمة ولا عيبًا لهم.

وقد امتلأت كتب أئمة المســــلمين من السـلف والخلف بتبـيين هـذه المقـالات وما أشبهها مثل كتب الشـافعي، وإسـحاق وأبي عبيد وأبي ثور، ومن بعــدهم من أئمة الفقه والحديث وغيرها ممن ادعـوا المقـالات وما كـــان بمثابتها شـــيء كثـــير، ولو ذكرنا ذلك بحروفه لطال الأمر جدًا.

وأما مراد الراد بذلك إظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبـــيين جهله وقصـــوره في العلم ونحو ذلـك، كـان محرمًـا، سـواء كـان رده لـــــــذلك في وجه من رد عليه أو في غيبته، وسـواء كـان في حياته أو بعد موتـه، وهــذا داخل فيما ذمه الله تعــالى في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمـز، وداخل أيضًـا في قـــول النـــبي ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسـانه ولم يـؤمن بقلبـه: لا تـؤذوا**

المسلمين ولا تتبعـوا عـوراتهم فإنه من يتبع عـوراتهم، يتبع الله عورتـه، ومن يتبع الله عورته يفضـــــحه ولو في جوف بيته»[1].

وهذا كله في حق العلمـاء المقتـدى بهم في الـدين، فأما أهل البـدع والضـلالة ومن تشـبه بالعلمـاء وليس منهم، فيجـوز بيـان جهلهم وإظهار عيوبهم؛ تحذيرًا من الاقتـداء بهم.. وليس كلامنا الآن في هـــذا القبيـــل، والله أعلم.

---

1 (?) أبو داود (4880)، وأحمد (19797) من حـديث أبي بـرزة الأسـلمي ، وهو حـديث حسن صحيح.

فصل
من يرد النصيحة يعامل بالإكرام والاحترام

ومن عـــرف منه أنه أراد بـــرده على العلماء النصيحة لله ورســوله فإنه يجب أن يعامل بالإكرام والاحــترام والتعظيم كسـائر أئمة المســلمين الــذين ســبق ذكــرهم وأمثالهم ومن تبعهم بإحسان.

ومن عـــرف منه أنه أراد بـــرده عليهم التنقص والذم، وإظهار العيب، فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتـدع هو ونظـراؤه عن هذه الرذائل المحرمة.

ويعـرف هـذا القصد تـارة بـإقرار الـراد واعترافه، وتارة بقرائن تحيط بفعله وقوله، فمن عـرف منه العلم والـدين وتوقـير أئمة المسلمين واحترامهم، لم يذكر الرد وتبـيين الخطأ إلا على الوجه الـذي يـراه غـيره من أئمة العلماء.

وأما في التصـــانيف، وفي البحث، وجب حمل كلامه على الأول، ومن حمل كلامه – والحـــال على ما ذكـــره – فهو ممن يظن بالبريء الظن السوء، وذلك من الظن الذي

حرمه الله ورســـــوله، وهو داخل في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا... ﴾ [النساء: 112].. فإن الظن الســوء ممن لا تظهر منه أمــارات الســـوء مما حرمه الله ورسوله، فقد جمع هذا الظان بين اكتســاب الخطيئة والإثم ورمي الــبرئ بهــا.. ويقــوي دخوله في هـــذا الوعيد إذا ظهـــرت منه – أعني هـذا الظـان – أمـارات السـوء، مثـل: كثرة البغي، والعدوان، وقلة الورع، وإطلاق اللســـان، وكــثرة الغيبة والبهتــان، والحسد للنـــاس على ما آتـــاهم الله من فضـــله، والامتنــان، وشــدة الحــرص على المزاحمة على الرئاسات قبل الأوان.

ومن عـرفت منه هـذه الصـفات الـتي لا يرضى بها أهل العلم والإيمـــــان فإنه إنما يحمل تزمته للعلمـــــاء، ورده عليهم على الوجه الثـــاني؛ فيســـتحق حينئذ مقابلته بالهوان، ومن لم تظهر منه أمــارات بالكلية تدل على شــيء، فإنه يجب أن يحمل كلامه على أحسن محملاتــه، ولا يجــوز حمله على أســوأ حالاتــه.. وقد قــال عمر : «لا تظن بكلمة خـــرجت من أخيك المســـلم ســـوءًا

وأنت تجد لها في الخير محملاً».

فصل
أن يقال للرجل في وجهه ما يكرهه

ومن هـذا البـاب أن يقـال للرجل في وجهه ما يكرهـه، فـإن كـان هـذا على وجه النصح فهو حسـن، وقد قـال بعض السـلف لبعض إخوانه: «لا تنصحني حـتى تقـول في وجهي ما أكره»..

فإذا أخبر الرجل أخاه بعيب ليجتنبه كـان ذلك حسـنًا لمن أخـبر بعيب من عيوبه أن يعتـذر منها إن كـان له منها عـذر، وإن كـان ذلك على وجه التـوبيخ بالـذنب فهو قـبيح مذموم.

وقيل لبعض السلف: «أتحب أن يخـبرك أحد بعيوبـك؟.. فقـال: إن كـان يريد أن يوبخني فلا».

فـالتوبيخ والتعيـير بالـذنب مـذموم، وقد نهى النبي ﷺ أن تثرب الأمة الزانية مع أمـره بجلـدها[1]، فتجلد حـدًا ولا تعـير بالـذنب ولا توبخ به.

---

1 (?) أخرجه البخاري (2154)، ومسلم (1703) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي الترمذي وغيره مرفوعًا: **«من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»**.. وحمل ذلك على الذنب الذي تاب منه صاحبه.

قال الفضيل: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير».

فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح والتعيير، وهو أن النصح يقترن به الستر، والتعيير يقترن به الإعلان. وكان يقال: «من أمر أخاه على رءوس الملأ فقد عيره».. أو بهذا المعنى.

وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه، ويحبون أن يكون سرًا فيما بين الآمر والمأمور، فإن هذا من علامات النصح، فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها.

وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ [النور: 19].

والأحاديث في فضل السر كثيرة جدًا.

وقال بعض العلماء لمن يأمر بالمعروف: «واجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور عوراتهم وهن في الإسلام، أحق شيء بالستر: العورة». فلهذا كان إشاعة الفاحشة مقترنة بالتعيير، وهما من خصال الفجار، لأن الفاجر لا غرض له في زوال المفاسد ولا في اجتناب المؤمن للنقائص والمعايب، إنما غرضه في مجرد إشاعة العيب في أخيه المؤمن وهتك عرضه، فهو يعيد ذلك ويبديه، ومقصوده تنقص أخيه المؤمن في إظهار عيوبه ومساوئه للناس ليدخل عليه الضرر في الدنيا.

وأما الناصح فغرضه بذلك إزالة عيب أخيه المؤمن واجتنابه له، وبذلك وصف الله تعالى رسوله ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128].

ووصف بذلك أصحابه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح: 29].

ووصف المؤمنين بالصبر والتواصي بالمرحمة.

وأما الحامل للفاجر على إشاعة السوء

وهتكه فهو القــوة والغلظــة، ومحبته إيــذاء أخيه المؤمن، وإدخـال الضـرر عليـه. وهـذه صفة الشيطان الذي يـزين لبـني آدم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بـذلك من أهل النيران، كما قال الله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6].

وقــال بعد أن قص علينا قصــته مع نــبي الله آدم ومكـــــره به حــــــتى توصل إلى إخراجه من الجنة: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: 27].

فشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصـــده الفضـــيحة، ولا تلتبس إحـــداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقـول الصحيحة.

فصل
في عقوبة من أشاع السوء على أخيه المؤمن

وعقوبة من أشاع السوء على أخيه المؤمن، وتتبع عيوبه، وكشف عورته، أن يتبع الله عورته ويفضحه ولو في جوف بيته، كما روي ذلك عن النبي من غير وجه، وقد أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من وجوه متعددة.

وأخرجه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي قال: «**لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك**»[1].. وقال: حسن غريب.

وخرج أيضًا من حديث معاذ مرفوعًا: «**من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله**»... وإسناده منقطع.

وقال الحسن: «كان يقال: من عير أخاه بذنب تاب منه، لم يمت حتى يبتليه الله به».

ويروى من حديث ابن مسعود بإسناد فيه ضعف: «البلاء موكل بالمنطق، فلو أن

---

1 (?) الترمذي (2508).

رجلاً عير رجلاً برضاع كلبة لرضعها».

وقد روي هــذا المعــنى عن جماعة من السلف.

ولما ركب ابن سـيرين الـدين وحبس به قال: «إني أعرف الذنب الذي أصابني هـذا، عـيرت رجلاً منذ أربعين سـنة فقلت لـه: يا مفلس».

فصل
فيمن أظهر السوء وأشاعه في قالب النصح

ومن أظهر التعيير: إظهار السوء وإشاعته في قالب النصح وزعم أنه إنما يحمله على ذلك العيوب، إما عامًّا أو خاصًّا، وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى، فهو من إخوان المنافقين، الذي ذمهم الله في كتابه، في مواضع، فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً وقولاً حسنًا وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعد ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة... ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: 107].

وقال الله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: 188]. وهذه الآية نزلت في اليهود حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، وقد

أروه أن قد أخـــبروه بما ســـألهم عنـــه، واستحمدوا بذلك عليه وفرحوا بما أتــوا من كتمانه ما سألهم عنه.

كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهمــا، وحديثه بذلك مخرج في الصحيحين[1].

وعن أبي سـعيد الخـدري: أن رجـالاً من المنافقين كانوا إذا خـرج رسـول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعــدهم خلاف رســول الله ﷺ، فــإذا قــدم رســول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمــدوا بما لم يفعلوا .. فنزلت هذه ... الآية[2].

فهـــذه الخصـــال، خصـــال اليهـــود والمنـــافقين، وهو أن يُظهر الإنســـان في الظاهر قولاً أو فعلاً، وهو في الصورة الـتي ظهر عليها حسن، ومقصوده بــذلك التوصل إلى غرض فاســد، فيحمد على ما أظهر من ذلك الحســـــن، ويتوصل هو به إلى غرضه الفاسد الذي هو أبطنه، ويفرح بحمـده على ذلك الـــذي أظهر أنه حسن وفي البـــاطن شيء، وعلى توصله في الباطن إلى غرضه

---

1 (?) البخاري (4568)، ومسلم (2778).

2 (?) أخرجه البخاري (4567)، ومسلم (2777).

السـيئ، فتتم له الفائـدة وتنفذ له الحيلة بهذا الخداع!!

ومن كـانت هـذه صـفته فهو داخل في هذه الآية ولا بد، فهو متوعد بالعذاب الأليم، ومثـال ذلـك: أن يريد الإنسـان ذم رجل وتنقصه وإظهار عيبه لينفر النـاس عنـه، إما محبة لإيذائه لعداوته أو مخافته من مزاحمته على مـال أو رئاسة أو غـير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصل بذلك إلا بإظهـار الطعن فيه بسـبب ديـني، مثل أن يكـون قد رد قـولاً ضـعيفًا من أقـوال عـالم مشـهور، فيشـيع بين من يعظم ذلك العـالم أن فلانًا يبغض هـذا العـالم ويذمه ويطعن عليه، فيغر بذلك كل من يعظمه، ويـوهمهم أن بغض الراد وأذاه من أعمال القرب، لأنه ذب عن ذلك العالم، ورفع الأذى عنه، وذلك قربة إلى الله تعـالى وطاعتـه، فيجمع هـذا المظهر للنصح بين أمرين قبيحين محرَّمين:

أحدهما: أن يحمل رد هذا العالم القول الآخر على البغض والطعن والهـوى، وقد يكون إنما أراد به النصح للمؤمنين، وإظهـار ما لا يحل له كتمانه من العلم.

والثـــــــــاني: أن يظهر الطعن عليه ليتوصل بذلك إلى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع.

وبمثل هــذه المكيــدة كــان ظلم بـــني مروان وأتبـاعهم؛ يسـتميلون النـاس إليهم، وينفـرون قلـوبهم عن علي بن أبي طـالب والحسن والحســـــين وذريتهم رضي الله عنهم أجمعين.

وأنه لما قتل عثمـــان لم تر الأمة أحق من علي فبـايعوه، فتوصل من توصل إلى التنفير عنه، بأن أظهر تعظيم قتل عثمـان وقبحه، وهو في نفس الأمر كذلك، ضم إلى ذلك أن المـــؤلب على قتله والســاعي فيه علي ، وهذا كان كذبًا وبهتًا.

وكـــان علي يحلف ويغلظ الحلف على نفي ذلك، وهو الصادق البار في يمينه .

وبــادروا إلى قتاله ديانة وتقربًــا، ثم إلى قتـــال أولاده رضـــوان الله عليهم، واجتهد أولئك في إظهار ذلك وإشاعته على المنابر في أيـــــام الجمع وغيرها من المجـــــامع العظيمة، حتى استقر في قلوب أتباعهم أن الأمر على ما قـالوه، وأن بـني مـروان أحق

بالأمر من علي وولده؛ لقربهم من عثمــان، وأخـذهم بثـأره، فتوصـلوا بـذلك إلى تـأليف قلوب النـاس عليهم، وقتـالهم لعلي وولـده من بعده، ويثبت بذلك لهم الملك، واستوثق لهم الأمر.

وكان بعضهم يقول في الخلـوة لمن يثق إليه كلامًا ما معنـــــــاه: «لم يكن أحد من الصحابة أكفأ عن عثمان من علي».. فيقال لــه: لم يسـبونه إذًا؟ فيقـول: «إن الملك لا يقوم إلا بذلك».

ومراده أنه لولا تنفـير قلـوب النـاس عن علي وولـده ونسـبتهم إلى ظلم عثمـان لما مـالت قلـوب النـاس إليهم، لما علمـوه من صفاتهم الجميلة وخصائصهم الجليلة، فكانوا يسـرعون إلى متـابعتهم ومبـايعتهم فـيزول بذلك ملك بني أميـة، وينصـرف النـاس عن طاعتهم.

فصل

فليتق الله من ابتلي بشيء من هذا المكر

ومن بلي بشـــيء من هــذا المكر فليتق الله ويســـــتعن به ويصـــــبر، فـــإن العاقبة للتقـوى.. كما قـال الله تعـالى بعد أن قص قصة يوسف وما حصل له من أنـــواع الأذى بالمكر والمخادعة: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف: 21].

وقــال الله تعــالى حكاية عنه أنه قــال لإخوته: ﴿أَنَا يُوسُـفُ وَهَـذَا أَخِي قَـدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 90].

وقـــالـــ تعــــالى في قصة موسى ﷺ وما حصل له ولقومه من أذى فرعــون وكيــده، قال لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْـبِرُوا...﴾ [الأعراف: 128].

وقد أخبر الله تعالى أن المكر يعود وباله على صاحبه، قـال الله تعـالى: ﴿وَلا يَحِـيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

وقـال الله تعـالى: ﴿وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: 123].

والواقع يشهد بذلك، فإن من سبر أخبـار الناس، وتواريخ العالم، وقف على أخبار من مكر بأخيه فعاد مكره عليه، وكان ذلك سببًا لنجاته وسلامته على العجب العجاب.

ولو ذكرنا بعض ما وقع من ذلك لطـــال الكتـــاب واتسع الخطـــاب، والله الموفق للصـواب، وعليه قصد السـبيل، وهو حسـبنا ونعم الوكيـل، وصـلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الفهرس